المحاضرة 3

الصلات التجارية بين موانئ الشرق

أ .د سفيان ياسين إبراهيم

جامعة الموصل /كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ

لعبت مجموعة من العوامل على اختلافها على ادامة التواصل التجاري بين الصين والهند بل وخلقت نوع من المنافسة بينهما من خلال العروض التجارية المقدمة لتجار البلدين والامتيازات الممنوحة وهي كالاتي: –

1_ العامل الديني والثقافي

كان للعامل الديني اثره في التواصل بين بلاد الهند والصين فعلى الرغم من وجود الديانات المحلية في الصين الا ان الديانات الموجودة في الصين تعود في اصلها الى الهند اذ انتقلت من الهند للصين وقد أشار الى ذلك سليمان التاجر[1] بالقول : ((وليس لأهل الصين علم وانما اصل ديانتهم من الهند وهم يزعمون ان الهند وضعوا لهم البددة وانهم اهل الدين)).

وقد لعب التجار الهنود دوراً كبيراً في نشر البوذية خلال حكم سلالة الهان حتى قيام سلالة التانغ بتوالي السلطة في الصين وقد اثر ذلك على الكونفوشيوسية التي يدين بها اهل الصين [2]، وقد زار احد الحجاج الصينيون ممن كان يعمل في التجارة احد الاضرحة البوذية في سرنديب وعند عودته شجع التجار الصينيون على التجارة مع ميناء سرنديب لما وجده هناك من منتجات وحسن الاستقبال، وقد أدى ذلك وبالأخص في الموانئ القريبة من الصين مثل ميناء كله بار الى حدوث تمازج اجتماعي وثقافي بين الطرفين انعكس على العادات والتقاليد

---

[1]() التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان، تحقيق: سيف شاهين المريخي، (دار البارودي_ ابوظبي: 2005م) ، ص59.

[2]() سليمان حزين، المشرق العربي والشرق الأقصى علاقتهما التجارية والثقافية في العهود الاغريقية/ والإيرانية / والعربية، ترجمة: محمد عبد الغني سعودي، (طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية_ القاهرة: 2009م) ،ص337؛ اندرية وينك، الهند تكوين العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الاله الملاح، (دار الكتب الوطنية _ ابوظبي: 2013م) ، 1/392_395.

اذ كان سكان ميناء كله بار يلبسون كاهل الصين الافرند الصني المثمن وغيرها من العادات الصينية التي كانوا يمارسونها وانعكس ذلك على انتعاش الحركة التجارية في ميناء كله بار.[3]

2_ السفارات وتبادل الهدايا بين حكام الهند والصين

كان لتشجيع الاسر الحاكمة للتجارة والتجار وبالأخص الحكومات الصينية دوراً في ديمومة التواصل التجاري بين موانئ البلدين اذ اهتمت الحكومة الصينية بالتجارة والسفارات التجارية وقد ظهر ذلك بشكل واضح خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي اذ وضعت الحكومة الصينية يدها على زمام التجارة وجعلها تحت هيمنتها اذ عمدت على تنشيط الاعمال التجارية من خلال قيام امبراطور الصين بأرسال الوفود التجارية الى الموانئ التجارية العالمية يحملون معهم الخطابات المختومة بخاتم الامبراطور ومقداراً من الذهب والفضة لشراء البضائع والدعاية بين التجار الأجانب بسواحل بحر الهند وترغيبهم بزيارة الصين ووعودهم بامتيازات خاصة بهم ، وبذلك تمون الصين اسبق دول العالم في مجال البعثات التجارية وقد نجحت مساعي الحكومة فقد امتلئت المخازن بالبضائع.[4]

وكان لحكومة سونغ الريادة في ذلك اذ شجعت في عام (960م) التجارة مع الهند اذ كانت تجارة المواد الثمينة يهيمن عليها تجار الهند ، وقد وصلت البعثات التجارية الصينية الى ميناء سرنديب وقد اهتم حكام سرنديب بتلك البعثات وعملوا على تقوية العلاقات التجارية بينهم الى درجة اعلانهم انهم تابعين للصين وكان لميناء سرنديب الأثر البالغ في انتقال التجار الصينيون الى إقليم المليبار وموانئه اذ كانت سفن المليبار تجوب شواطئ سرنديب وترسوا في مينائها ، وتأتي اليها سفن بلاد فارس واثيوبيا كم كانت ترسل سفنها للصين لجلب

---

[3]() شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي ، معجم البلدان، ط3، (دار صادر ـ بيروت: 1995م) ، 445/3؛ الحزين، المرجع السابق،ص189؛

Kennerth pletcher, the history of china, (Published by Britannica Educational Publishing: 2011), p, 122_123.

[4]() الحزين، المرجع نفسه، ص213؛ طارق فتحي سلطان، العرب والصين في القرون الوسطى (دراسة سياسية حضارية) 1_769هـ/622_1368م، (جامعة الموصل:2004م) ،ص148؛ مروة صلاح الدين محمد، تشجيع التجارة بين الشرق الإسلامي والصين في عصر الدولة العباسية (133_656هـ/747_1258م) ، المؤتمر الدولي الرابع حول العلاقات العربية الصينية التاريخ والحضارة، كلية الآداب _ جامعة قناة السويس، مصر: 2012م،ص305؛ يحيى محمد الشربيني القناوي ، نشاط المسلمين التجاري في الصين واثره في الحضارة الإسلامية في العصر الإسلامي (960_1368م) ، رسالة ماجستير غير منشورة _ معهد الدراسات والبحوث الاسيوية ، جامعة الزقازيق: بلا. ت)، ص63؛

Michael Pearson, Trade, Circulation, and Flow in the Indian Ocean World,(Macmillan Publishers Limited_ London:2015),p.58

المنتجات الصينية[5]، كما ارسل امبراطور الصين وفادة الى سرنديب للحصول على قطعة من الصخرة التي رسم عليها قدم ادم عليه السلام.[6]

كما قام حكام وملوك الهند بتشجيع التجارة مع الصين اذ أرسلت حكومة جاوة بعثتين تجاريتين سنة (992و1110م) دعماً للعلاقات التجارية مع اسرة سونغ ، الى جانب ارسال حكام ممالك الهند الأخرى المبعوثين التجاريين الى الموانئ الصينية، فضلاً عن الامتيازات الممنوحة لتجار الصين في موانئ الهند آنذاك .[7]

وقد نتج عن ذلك تكوين علاقات طيبة وحسن جوار بين البلاط الصيني وحكام الأقاليم المجاورة للصين ودل على ذلك كثرة الهدايا التي كانت ترد حاك واباطرة الصين وكانوا بدورهم يدون على تلك الهدايا مما أدى الى ادامة الصلات التجارية بين الموانئ الهندية والصينية .[8]

3_ الجاليات التجارية

لا يخلوا ميناء من الموانئ من وجود الجاليات التجارية اذ شهدت الموانئ الهندية وجوداً للجاليات الصينية وكان ذلك بعد تشجيع حكومات الصين للاتجار مع الهند بل كانت بعض الموانئ الهندية تعج بالتجار الصينيون مثل ميناء كله بار وجاوة وكولم ملي وملقا.[9]

ففي ميناء الديبل تتجمع جالية تجارية صينية فيه دائمة الاتصال بالموانئ الصينية اذ كانت السفن الصينية دائمة الرسو فيه وفي ذلك أشار الادريسي[10] بالقول: ((وقد ترد عليها مراكب الصين ... بالثياب

---

[5]() الحزين ، المرجع السابق، ص190؛ وينك، المرجع السابق، 387/1.

[6]() محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي أبو عبد الله المعروف بابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، (أكاديمية المملكة المغربية _ الرباط: 1417م) ، 137/1.

[7]() الحزين، المرجع السابق، ص214 ؛ عيساني شفيقة ،شبه القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين الفترة ما بين القرن الثالث الى الثامن الهجري / من التاسع الى الرابع عشر ميلادية، (رسالة ماجستير غير منشورة _ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر: 2010م) ، ص49.

[8]() سلطان، المرجع السابق، ص67؛
HANS BIELENSTEIN, DIPLOMACY AND TRADE IN THE CHINESE WORLD 589-1276, (LEIDEN _ BOSTON: 2005), p84_89.

[9]() أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، المسالك والممالك، (دار الغرب الإسلامي_ لبنان: 1992م) ، 258/1؛ الحزين، المرجع السابق، ص121، 189 ،211.

[10]() محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (عالم الكتب _ بيروت: 1409م) ، 167/1.

والأمتاع الصينية))، كما كان للصين وتجارها وجود في موانئ المليبار وبشكل كبير الى درجة التدخل الصيني في شؤونها وفي ذلك قال ابي دلف[11] ((وأهلها يختارون للصين ملكاً اذا مات ملكهم))، وكانت المراكب الصينية تدخل موانئ قاليقوط وكولم ملي ويعود وجود الجاليات التجارية الصينية الى زمن قديم وبالأخص في ميناء قاليقوط وقد أشار ابن بطوطة[12] الى حركة سفنهم الدائمة في ميناء قاليقوط بالقول ((ان تجار الصين قد اكثروا المصاري ذاهبين وراجعين))، ونظراً لأهميته سيطر الصينيون عليه فترة من الزمن وجعلوه تابعاً لهم اذ القى اسطوله العظيم مراسية هناك لبضعة اشهر بعدها هجروا الميناء وانتقلوا الى ملقا، وربما يعود السبب في ذلك الى الضرائب الكبيرة المفروضة على السفن التجارية الصينية اذ كان يأخذ منها الف درهم ومن غيرها من عشرة الى عشرين دينار ولكل جالية امتيازاتها الخاصة [13]، اما ميناء كولم ملي فهو اكثر الموانئ التي يسافر اليها التجار الصينيون ولأهميته كونه البوابة الهندية للصين ومركز تجمع السفن العالمية فقد كان عليه تنافس تجاري كبير بين الجاليات العربية والصينية للسيطرة على التجارة فيه الميناء وبالأخص التجار المصريين [14].

اما ميناء سرنديب فكان تواجد الصينيون فيه قديم وتعود اقدم العلاقات بين الهند والصين من خلال سرنديب لأهميتها الدينية والاقتصادية فكان ميناء سرنديب اول الموانئ الهندية التي تتجمع فيها الجالية التجارية الصينية وفي ذلك قال الادريسي[15]: ((واليها تقصد مراكب اهل الصين)).

وفي ميناء كله بار كانت تتجمع فيه جالية تجارية صينية ازدادت تلك الجالية بعد الاضطرابات والاحداث السياسية التي حصلت في الصين وبالأخص في ميناء خانقو (كانتون) مجمع التجار بعد ثورة سنة (887م) وتحول ميناء كله بار الى مركز تجاري عالمي تتجمع فيه مختلف الجاليات التجارية ومنها الصينية وعدت مجمع كل البضائع الصينية والعراقية واليمنية والافريقية والهندية[16]، وهناك رواية اشارت الى تجمع

---

[11]() مسعر بن المهلهل الخزرجي ، رحلة أبي دلف، تحقيق: جنان عبد الجليل محمد الهماوندي، (دار الكتب العلمية- بيروت: 2013م) ، ص48.

[12]() المصدر السابق، 47/4.

[13]() أبو زيد حسن بن يزيد السيرافي، رحلة السيرافي ، (المجمع الثقافي_ أبو ظبي: 1999م) ، ص26؛ أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، (عالم المعرفة _ الكويت: 1990م) ، ص62؛ وينك، المرجع السابق، 247/3_248.

[14]() وينك، المرجع نفسه، 246/3.

[15]() نزهة، 74/1.

[16]() السيرافي، الرحلة ،ص66؛ نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، (الاهلية للنشر والتوزيع _ بيروت:2002م)، ص199؛ الحزين، المرجع السابق،ص337هامش150؛ عيساني، المرجع السابق، ص63_64؛

التجار في ميناء كله بار ومنهم الجاليات التجارية الصينية اذ قال : ((واليها تنتهي مراكب اهل الإسلام من السيرافيين والعمانيين في هذا الوقت فيجتمعون مع من يرد من اهل الصين في مراكبهم))[17]، وكان لتوسع الصين البحري اثره على ميناء كله بار فلم يقتصر التأثير على الجانب التجاري وانما تعداه الى الجانب السياسي والثقافي والاجتماعي وهذا يعود الى التواجد الصيني الكبير في ميناء كله بار من خلال جالياتهم التجارية، وقد اهتم حكام كله بار بعلاقاتهم مع الصين لدرجة انهم اعتبروا انفسهم إقليم تابع للصين فهم يلبسون كاهل الصين الافرند الصيني المثمن وملكهم دون ملك الصين ويخطب لملك الصين واليه قبلته[18] وقد أشار القزويني[19] في روايه عن خضوع ميناء كله بار سياسياً لملك الصين وان كان اسمياً اذ قال ((ويعين ملكهم من قبل ملك الصين واليه قبلته وبيت عبادته)) وفي رواية أخرى قال ((ويعتقد سكان كله بار ان طاعة ملك الصين عليهم مباركة ومخالفته شؤم)).[20]

وفي ميناء جاوة وجزر إندونيسيا الأخرى كانت هناك جالية تجارية صينية كبيرة، وكان الصينيون من العناصر التجارية المهمة في ميناء جاوة، وكان من أسباب الوجود الصيني هو سعي حكام جاوة لتقوية علاقاتهم التجارية مع التجار الصينيين من خلال منحهم امتيازات خاصة تمخضت عن زيارة الوفد الجاوي الى الصين الى درجة اخذت الحضارة الصينية تنافس الهندية هناك كما تواجدت جالية صينية في موانئ ساحل كرومندل [21].

كما شهدت الموانئ الصينة وجود الجاليات التجارية الهندية فيها مستفيدين من الامتيازات الممنوحة لهم من قبل اباطرة الصين اذ كانت لهم جوازات خاصة يبرزونها اثناء تجولهم وسفرهم الى الصين تحمل ترخيص خاص لهم ، فضلا عن تصريخ خاص بالمبالغ التي يحملونها وكان لتلك الجاليات دوراً في ادامة

Heyd, Wilhelm, Histoire du commerce du Levant au moyen-âge , (Publisher Leipzig :1885),v1,p28.

[17]() أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، (دار هجر _ قم: 1989م) ، 159/1.

[18]() الحموي، المصدر السابق، 445/3؛ الحزين، المرجع السابق، ص119_120، 211؛ وينك، المرجع السابق، 400/1.

[19]() زكريا بن محمد بن يحيى، أثار البلاد وأخبار العباد، (دار صادر- بيروت، د. ت)، ص105.

[20]() القزويني ، اثار البلاد، ص106.

[21]() الحزين ، المرجع السابق، ص141,

Pearson, p.60.

الصلات التجارية بين الموانئ الهندية والصينية الى جانب نشرهم الديانات والعادات والتقاليد الهندية في الموانئ الصينية.[22]

[22]() سلطان ، المرجع السابق ، ص157؛ وينك، المرجع السابق، 1/393_395,

Pletcher,p,110